السنة الاولى — العدد ١٦ — ١ ت١ سنة ١٨٩٨



اسواق العرب ايام الجاهلية

لجناب الاديب المحقق محمود شكري افندي الآلوسي احد افاضل علماء المسلمين في بغداد

كان للعرب اسواق يقيمونها في شهور السنة وينتقلون من بعضها الى بعض ويحضرها سائر العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر . منها : (دَوْمَةُ الجَنْدَلِ) كانوا ينزلونها اول يوم من ربيع الاول يجتمعون في أسواقها للبيع والشراء والاخذ والعطاء . وكانت المبايعة فيه ببيع الحصاة . وهو من بُيوع الجاهلية التي ابطلها الاسلام . وفُسّر بان يقول احد المتبايعَين للآخر : ارمِ هذه الحصاة فعلى ايّ ثوب وقعت فهو لك بدرهم . وفُسّر بان يبيعهُ من ارضهِ قدر ما انتهت اليهِ رمية الحصاة . وفُسّر بان يقبض على كفّ من حصًى ويقول : لي بعدد ما خَرَج في القبضة من الشيء المبيع او يبيعهُ سلعة ويقبض على كفّ من الحصى ويقول لي بكل حصاة درهم . وفُسّر بان يمسك احدهما حصاة في يدهِ ويقول : ايّ وقت سقطت الحصاة وجب البيع . وفُسّر بان يتبايعا ويقول احدهما : اذا نبذت اليك الحصاة فقد وجب البيع . وفُسّر بان يعترض القطيع من الغنم فيأخذ حصاة ويقول : ايّ شاة اصابتها فهي لك بكذا . وهذه الصور كلّها فاسدة لما تتضمّن من اكل المال بالباطل ومن الغرور والخطر الذي هو شبيه بالقمار ولذلك ابطلتها الشريعة . وكان أُكَيدر صاحب دومة الجندل يرعى الناس ويقوم بأمرهم اوّل يوم فتقوم سوقهم الى نصف الشهر . وربّما غلب على السوق بنو كلب فيعشوهم ويتولّى امرهم يومئذٍ بعض رؤساء بني كلب فتقوم سوقهم الى آخر الشهر

ومنها : (سُوقُ هَجَرٍ) بفتح الهاء والجيم اسم لجميع ارض البحرين ومنهُ المثل : كمُبضِع تمرٍ الى هجر . وقول عمر بن الخطّاب رض : عجبت لتاجر هجر . كانهُ اراد لكثرة وبائهِ او لركوب البحر . وسمّي بهذا الاسم بلد باليمن بينهُ وبين عَثر يوم وليلة . مذكّر مصروف وقد

يونث والنسبة هَجَرِيّ وهاجِرِيّ. والسوق الموضع الاوّل كانوا ينتقلون اليها في شهر ربيع الآخر فتقوم سوقهم بها. وكان يعشرهم ويتولّى امرهم المنذر بن ساوى احد بني عبدالله ابن دارم

ومنها: (سُوقُ عُمان) كغُراب ذُكر في القاموس انها بلد باليمن. ويُصرف. وكشدَّاد بلد بالشام ولم يذكر الموضع الذي كان سوقًا. وهو في ارض البحرين كانوا يرتحلون من سوق هجر فتقوم بها سوقهم الى اواخر جمادى الاولى

ومنها: (سُوقُ المُشَقَّر) كمعظَّم حصن بالبحرين كان فيه سوق للعرب تقوم من اوَّل جمادى الأخرى وكان بيعهم بالملامسة والايماء والهمهمة خوف الحَلف والكذب. والهمهمة الكلام الخفيّ وكلّ صوت معهُ بَحَحٌ. وبيع الملامسة على اوجهٍ وهي ان يُؤتى بثوبٍ مطويّ او في ظلمة فيلمسهُ المستام فيقول لهُ صاحب الثوب: بِعْتُكَهُ بكذا بشرط ان يقوم لَمسُكَ مَقامَ نظرك ولا خيار لك اذا رأيتهُ. الوجه الثاني: ان يجعلا نفس اللمس بيعًا بغير صيغة زائدة. الوجه الثالث: ان يجعلا اللمس شرطًا في قطع خيار المجلس وغيرهِ. وهو ايضًا من البُيوع التي ابطلها الاسلام كبيع المُنابذة. وهو ان يجعلا نفس النبذ بيعًا كما تقدَّم في الملامسة. او ان يجعلا النبذ بيعًا بغير صيغةٍ. او ان يجعلا النبذ قاطعًا للخيار

ومنها: (سُوقُ صُحار) بضمّ الصاد المهملة تقوم لعَشْرٍ يَمْضِينَ من رجب الفرد خمسة أيام. ومنها: (سُوق الشِّحْر) بفتح ثمّ سكون ساحل البحر بين عمان وعدن تقوم في النصف من شعبان. وكان بيعهم في هذه السوق ايضًا برمي الحصاة وإلقاء الحجارة كما في سوق دومة الجندل

ومنها: (سُوقُ عَدَنَ أَبْيَنَ) كانوا يرتحلون من الشحر فينزلون هذا الموضع. وعدن جزيرة في اليمن اقام بها أَبْيَنُ فنُسِبَت اليهِ فتقوم سوقهم بها الى العَشْر من رمضان فتشترى التجارات وانواع الطيب. ومنها: (سوق صَنْعاء) كانوا اذا ارتحلوا من عدن والشحر تقوم سوقهم بصنعاء في النصف من شهر رمضان الى آخرهِ. وصنعاء من اطيب بلاد اليمن. ومنها كان يُجلَب الأَدَم والبُرُود. وكانت تجلب اليها من معافر وهو بلد كان في اليمن. ومنها: (سوق حَضْرَمَوت) كانت تقوم في النصف من ذي القعدة. يحضرها بعض القبائل من العرب والبعض منها يحضر سوقًا اخرى تقوم في هذه الايام ايضًا سيأتي ذكرها

ومنها: (سوق ذي المَجاز) كانت بناحية عرفة الى جانبها. وعند الازرقي عن

هشام ابن الكلبي انها كانت لهذيل على فرسخ من عرفة · ووهم هنا صاحب الصحاح فانهُ قال فيـه: ذو المجاز موضع بمِنًى كان بهِ سوق في الجاهلية · لما رواهُ الطبراني عن مجاهد: انهم كانوا لا يبيعون ولا يبتاعون في الجاهلية بعرفة ولا بمِنًى

ومنها: (سُوقُ مَجَنَّة) بفتح الميم وكسرها موضع قرب مكة وهو الذي عناهُ بلال رَضِ بقولهِ متشوقًا اليهِ بعد الهجرة :

وهل أَرِدَنْ يومًا مياهَ مَجَنَّةٍ   وهل يبدونْ لي شامةٌ وطَفيلُ

كانت تقوم سوقهم فيها قرب ايَّام موسم الحج · ويحضرها كثير من قبائل العرب ·

ومنها: (سوق حُبَاشَةَ) بضمّ الحاء المهملة وتخفيف الموحدة وبعد الالف شين معجمة · كانت في ديار بارق نحو قُنُونا بفتح القاف وبضم النون الخفيفة وبعد النون الف مقصورة من مكة الى جهة اليمن ولم تكن من مواسم الحج · وانما كانت تُقام في شهر رجب · ومنها: (سُوقُ عُكَاظٍ) بضم المهملة وتخفيف الكاف وآخرهُ ظاء معجمة بالصرف وعدمهِ · قال اللحياني: الصرف لاهل الحجاز وعدمهُ لغة تميم · وهو موسم معروف للعرب بل كان من اعظم مواسمهم واسواقهم · وهو نخل في وادٍ بين نخلة والطائف وهو الى الطائف اقرب بينهما عشرة اميال · وهو وراء قرن المنازل بمرحلة من طريق صنعاء اليمن · وكان المكان الذي يجتمعون فيهِ منهُ يقال لهُ الأُثَيْدَاء · وكانت هنـاك صخور يطوفون حولها وكانوا يتبايعون فيها ويتعاكظون ويتفاخرون ويَتَحَاجَوْنَ · وتُنشد الشعراء ما تجدَّد لهم وقد كثر ذلك في أشعارهم · كقول حسَّان :

سأنشرُ ان حييتُ لهم كلامًا   يُنشَر في المجامع من عكاظِ

وفيهـا كان يخطب كل خطيب مصقع · ومنهم قُسُّ بنُ ساعدة الايادي اذ خطب خطبتهُ الشهيرة هناك وهو على جَمَلٍ الأورق · وفيها عُلّقت القصائد السبع الشهيرة افتخارًا بفصاحتها على من يحضر الموسم من شعراء القبائل الى غير ذلك · وكان كل شريفٍ انما يحضر سوق بلدهِ الّا سوق عكاظ فانهم كانوا يتوافون بها من كل جهة · فكان يأتيها قُرَيش وهَوازن وسليم والاحابيش وعقيل والمصطلق وطوائف من العرب · ومن كان لهُ أسير سعى في فدائهِ · ومن كانت لهُ حكومة ارتفع الى الذي يقوم بامر الحكومة · وكان الذي يقوم بامر الحكومة في هذه السوق أُناس من بني تميم وكان احدهم الأقرع بن حابس · ولمَّا كانت هذه السوق مجمع القبائل قال طرفُ بنُ تميم العنبريُّ :

او كلّما وردت عُكاظ قبيلة بعثوا اليَّ عريفهم يتوسَّمُ
فتوسَّموني انّني انا ذلكُم شاكٍ سلاحي في الحوادث مُعلِمُ
تحتي الأغرُّ وفوق جلدي نثرة زغفٌ تردّ السيفَ وهو مثلَّمُ
حولي أُسيِّدُ والهجيم ومازنٌ واذا حللتُ فحَوْلَ بيتي خضَّمُ
ولكلّ بكريٍّ لديَّ عداوة وابو ربيعة شانئٌ ومحلِّمُ

وطريف هذا كان من مشاهير شجعان العرب وفرسانهم. قتل مرَّةً رجلًا من بني شيبان. ثم حضر ذلك الموسم فامعن فيه النظر بعض اقارب ذلك المقتول فسألهُ طريف عن السبب فقال: اريد ان اعرفك فلعلّي اصادفك يومًا لاقتلك او تقتلني. فانشد طريف تلك الابيات. وقد صادف ذلك الرجل طريفًا في يوم من ايّامهم فقتله واخذ منهُ ثأر قريبهِ

وكانت بعكاظ وقائع مرَّةً بعد مرَّةٍ ولذلك يقول دريد بن الصمَّة:

تغيَّبتُ عن يومَي عكاظ كليهما وان يكُ يومٌ ثالث اتغيَّبُ
وان يكُ يومٌ رابع لا أكن بهِ وان يكُ يومٌ خامس اتجنَّبُ

وذكر ابو عُبيدة أنَّهُ كان بعكاظ اربعة ايّام. يوم شَمطة ويوم العبلاء. ويوم شَرب ويوم الحريرة وهي كلها من عكاظ قال: «فشمطة» من عكاظ هو الموضع الذي نزلت فيهِ قريش وحلفاؤها من بني كنانة بعد يوم نخلة. وهو اوَّل يوم اقتتلوا فيهِ من ايّام الفجار تجَوُل على ما تواعدتَ عليهِ مع هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم. فكان يوم شَمطة لهوازن على كنانة وقريش. ولم يُقتل من قريش احدٌ يذكر واعتزلت بكر بن عبد مناة بن كنانة الى جبل يقال لهُ وَخم فلم يُقتل منهم احدٌ. وقال خداش بن زهير:

فابلغ ان بلغتَ بهِ هشامًا وعبد الله أبلغ والوليدا
بأنّا يوم شمطة قد أقمنا عمود الدين انّ لهُ عمودا

ثمَّ التقى الاحياء المذكورون على رأس الحول من يوم شمطة «بالعبلاء» الى جنب عكاظ فكان لهوازن ايضًا على قريش وكنانة. قال خداش بن زهير:

ألم يبلغكمُ انَّا جدعنا لدى العبلاء خندفَ بالقيادِ
ضربناهم ببطن عكاظ حتى تولّوا طالعين من النجادِ

ثم التقوا على رأس الحول وهو اليوم الرابع من يوم نخلة «بشَرِب» وشَرِب من عكاظ. ولم يكن بينهم يوم اعظم منهُ فحافظت قريش وكنانة وقد كان تقدَّم لهوازن عليهم

يومان . وقيّد ابو سفيان وحربٌ ابنا أُميّة وابو سفيان بن حرب انفسهم . وقالوا لا يبرح منا رجل مكانهُ حتى يموت او يظفر . فانهزمت هوازن وقيس كلها ألّا بني نصر فانهما صبرت مع ثقيف . وذلك ان عكاظ بلدهم لهم فيه نخل وأموال فلم يغنوا شيئاً ثم انهزموا وقُتلت هوازن يومئذٍ قتلًا ذريعاً . قال أُميّة بن اسكر الكناني :

ألا سائل هوازن يوم لاقوا فوارسَ من كنانة مُعلَمينا
لدى شَرِب وقد جاشوا وجشنا فاوعب في النفير بنو ابينا

وقال :

قومي اللذو بعكاظ طيّروا شررًا من دوس قومك ضربًا بالمصاقيل

ثم التقوا على رأس الحول « بالحُرَيرة » وهي حرَّة الى جنب عكاظ ممَّا يلي مهب جنوبها . فكان لهوازن على قُريش وكنانة . وكانت تقوم هذه السوق في قولٍ أوَّلَ ذي القعدة الى عشرين منهُ ثم يتوجهون الى مكة فيقفون بعرفات ويقضون مناسك الحج ثم يرجعون الى اوطانهم . وفي قولٍ آخر انهم كانوا يقيمون به جميع شوَّال . الى غير ذلك من الاقوال المختلفة ولعلَّ ذلك لاختلاف العادة في السنين او لاختلاف القبائل في الاقامة في هذا الموسم . والذي عليه صاحبُ قبائل العرب انهم كانوا يقيمون في هذه السوق من نصف ذي القعدة الى آخره فاذا أَهلَّ ذو الحجَّة اتوا ذا المجاز وهو قريب من عكاظ على ما سبق فتقوم سوقهُ الى التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجَّة سُمّي يوم التروية لأنهم كانوا يرتوون فيه من الماء لما بعده . او لأنَّ ابرهيم عليه السلام كانَ يتروّى ويتفكَّر في رؤياهُ فيه . وفي التاسع عُرِفَ وفي العاشر استُعمِل . ثم يصيرون الى منى وتقوم (سوق نطاة) بخيبر ونطاة عين او حصن بخيبر . (وسوق حَجْر) بفتح المهملة وسكون الجيم يوم عاشوراء الى آخر المحرَّم . ولم تزل هذه الاسواق قائمة في الإسلام الى ان كان اوَّل ما تُرِك منها سوق عكاظ في زمن خروج الخوارج الحرورية بمكَّة مع المختار بن عوف سنة تسع وعشرين ومائة فنهبوها فتُرِكت الى الآن . واتخذت سوقاً بعد الفيل بخمس عشرة سنة . وكان آخر ما ترك من الأسواق المذكورة سوق حُباشة في زمن داود بن عيسى بن موسى العبّاسي في سنة سبع وتسعين ومائة . والله اعلم بحقائق الامور

فائدة في اسواق العرب

الحقها بالمقالة السابقة حضرة الاب انستاس البغدادي الكرملي

كلّ من تكلّم عن اسواق العرب. أغضى عن مسألةٍ ذات شأن وبالٍ وعجب. وهي كيف كان يمكن للناطقين بالضاد بل وباحسن الالفاظ. ان يشهدوا سوق عكاظ. التي تقوم فيها المسابقات والمفاخرات. والمقايضات والمذاكرات. على ساقٍ مسوقة. بين الاكابر والسوقة. وليس فيهم وازعٌ يزعهم. او رادعٌ يردعهم. مع ما هم عليهِ من الحدّة والاستئثار. وطلب الانتقام بالثار او الثأر. وبالاخصّ لمّا كانت الحرب عندهم لا تضع أوزارها على مدى السنة. بل ولا تعرف نوماً ولا سِنة. اذ إنها ان لم تكن في هذا البطن او في هذه القبيلة. فهي في ذلك الفخذ او تلك الفصيلة. وان هذه البطون والقبائل. لا تخاف النوائل. فهي امّا متحالفة مع القاتل الظلوم او الجهول. وامّا متفقة مع اهل المقتول. فكيف اذاً يمكن لأصحاب الطرفين ان يجتمعوا سويّةً. بدون ان تجيش في انفسهم تلك العوامل القويّة. الدائمة السؤور فيهم. المتسلطة كلّ التسلُّط عليهم. كيف مثلاً كان يمكن للبطل المطالب بدم ابيهِ. او ابنهِ او اخيهِ. ان يلاقي عدوهُ في تلك السوق. ويبقى امامهُ كالرجل الموثوق. بدون حِراك. او عِراك. بل ربّما تماكظ معهُ. وسيمهُ. بل ربّما ايضاً سمع الثناء على عدوهِ. لما اتاهُ من الاعمال فزاد في عُلُوِّهِ وسُمُوِّهِ. ولعلّهُ قبل ذلك. قتل على قتلهِ بتهلكة من التهالك. فذهبت اتعابهُ ادراج الرياح. لا بل جاءت لهُ بالخسار بدون شيء من الارباح. واليوم يصادفهُ ولا يتعرّض لهُ كانّهُ عاجز او جبان. مع ان قتلهُ واجب عليهِ في مدّة محدودة من الزمان. والّا يعدّ من اخسّ الطغام. او من الاوغاد اللئام. أفكان اذاً يزول دم العرب من عروقهم. في هذا موسمهم

تلك معضلة تبان كانّها أعقد من ذَنَب الضبّ. حتى على من أوتوا النباهة من قرّاء هذه المجلّة من عجم او عرب. مع انّ اهل الجاهلية. قد وُفقوا الى حلّها بما نثبتهُ من الادلّة الجليّة:

١ً ان الفرسان كانوا يتبرقعون خشية سوء العقبى والشاهد على ذلك ما جاء في حواشي «تهذيب الالفاظ» (الصفحة ١٧١) (١ ما نصهُ: «كانت الفرسان في الجاهلية

(١) تهذيب الالفاظ هو الكتاب النفيس لابن السكّيت الذي انتهينا من طبعهِ منذ عهد قريب في

عند اجتماع الناس بعكاظ في وقت الحج يتبرقعون لئلا يُعرف من قد اصاب من الدماء . فاتى (طريف ابن تميم العنبري) سوق عكاظ فرأى قوماً ينظرون بوجهه وكان من مقدمي الفرسان فحسر اللثام وقال ابياتاً منها هذا . . . . (راجع ص ٨٦٨) »

٢° اما في انشاد الشعر وارتجاله او ما كان من هذا القبيل ففي اغلب الأحيان ما كان يُسمع صوت الخطيب او الشاعر اذا كان ممن يخاف الفضيحة بل كان يصل كلامهُ الى القوم بواسطة رجل يسمّونهُ المبلّغ يقف بجانب الخطيب او الشاعر ويكرّر للحضور ما كان يلقّنهُ اياهُ صاحبهُ . غير انَّ هاتين العادتين ما كانتـا تجريان دائماً بل كانتا تخالفان لانهما بذاتهما ما كانتا تمنعان سوء العقبى . فكان للجاهلية واسطة اخرى لمنع استشراء الشرّ وتفاقمهِ وهي التي ذكرها الاصبهاني في كتاب الاغاني (المجلد الرابع ص ٢٠٠) قال :

٣° « وكانت العرب اذا قدمت عكاظ دفعت اسلحتها الى ابن جدعان حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم . ثم يردُّها عليهم اذا ظعنوا وكان سيدًا حكيمًا مثريًا من المال » . اه . وربّما كان قبل ابن جدعان غيرهُ وغيرهُ جريًا على العادة التي أجروها مجرى السُّنَّة